

الحراك الاجتماعي وعلاقته بالمتغيرات المجتمعية للمجالات الاجتماعية في المدينة الجزائرية

دراسة ميدانية لترامواي ورقلة

كاوجة محمد الصغير

كوشي ابتسام

جامعة ورقلة (الجزائر)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الحراك الاجتماعي بوصفه سمة ملازمة للمجتمعات البشرية حيث أن واقع تلك المجتمعات يميزها بالتفاعل المستمر والموجه عقلياً ما ينتج عنه علاقات اجتماعية تؤسس إلى تكوّن نظم اجتماعية وأنساق اجتماعية يطلق عليها علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع مصطلح البناء الاجتماعي ، وما ينتج عن ذلك من حراك اجتماعي يتوزع تبعاً له أفراد المجتمع على مكانات اجتماعية مختلفة وبالتالي تتباين الأدوار والوظائف الاجتماعية بينهم. الحراك سمة ملازمة للمجتمعات البشرية المختلفة حيث لا يخلو مجتمع ما من تحرك الأفراد والجماعات من مركز اجتماعي إلى مركز اجتماعي آخر ، عدا تلك المجتمعات المغلقة التي يقل فيها الحراك الاجتماعي إلى أدنى مستوياته ، ويرى العلماء أن الكائنات البشرية المنضوية تحت النظام الاجتماعي ليست كائنات جامدة الحركة أو أن حركتها بفعل آلية محددة ، بل أنها كائنات تتميز بالعقل ، لذلك فإنها تؤثر سلباً وإيجابياً في النظام الاجتماعي حيث أنها قد تتواءم معه أو أنها تحدث تغييراً فيه ليكون متوائماً معها، ويرى البعض بأن النظام الاجتماعي يمكن تشبيهه بالمرجل الذي تتفاعل فيه كل المكونات والعناصر لإعادة تشكيل المادة ، حيث أن كل منها يترك أثره وفعله في تضييعها، مع الأخذ في الاعتبار تأثير العوامل الخارجية أيضاً.

الكلمات و العناصر المفتاحية: الحراك الاجتماعي، المجال العمراني.. المجال الاجتماعي. المتغيرات المجتمعية

مقدمة:

الحراك الاجتماعي عبارة عن إيجاد بيئة محفزة للعمل تتيح للمواطن تنمية قدراته واستعداداته ، وتكون فيه الفرص على أساس القدرات والمواهب والجهد الذاتي للحصول على مكانة وظيفية واجتماعية راقية داخل المجتمع ، ومن ثم يصبح المجتمع مجالاً خصباً لتنافس أعضائه . ويرى " أ. جيدنز " إن دراسة الترتيب الاجتماعي لا تقتصر على تباين المواقع الاقتصادية أو المهنية التي يشغلها الأفراد ، بل تتطرق أيضاً إلى ما يمكن أن يحدث لهم في سياق البنية الاجتماعية ، ويشير مصطلح الحراك الاجتماعي إلى تحرك الأفراد والجماعات بين مواقع اقتصادية واجتماعية مختلفة ، فالحراك العمودي أو " الشاقولي " يعني حركة الأفراد صعوداً أو هبوطاً على السلم الاقتصادي الاجتماعي ، فيوصف من يحصلون مكاسب في مجال التملك أو الدخل أو المكانة بأنهم يحققون حراكاً إلى أعلى ، بينما تتحدر مواقع من يفقدون هذه المكاسب في الاتجاه المعاكس إلى أسفل ، كما يرى " جيدنز " أنه قد انتشرت في المجتمعات الحديثة ظاهرة الحراك الجانبي الذي يشير إلى التحرك الجغرافي بين الأحياء والمدن والأقاليم ، وقد يلتقي

الحراك ان كان العمودي والجانبي مثلاً عندما يُنقل شخص من المؤسسة التي يعمل بها إلى أحد فروعها في مدينة أو بلد آخر مع ترقية إلى منصب أعلى ، وهناك طريقتان لدراسة الحراك الاجتماعي هما : دراسة الحراك الجيلي الذي يشير إلى ما يحققه الفرد من تحرك صعوداً أو هبوطاً على السلم الاجتماعي في حياته ، ودراسة الحراك بين الأجيال الذي يدل على مثل هذا الصعود أو الهبوط بين الأبن وأبيه على سبيل المثال. 2

مشكلة البحث : تتحدد مشكلة البحث في مدى امكانية معرفة العلاقة التي تنشأ في إطار الحراك الاجتماعي بين الحصول على المكانة أو المركز الاجتماعي والأدوار الوظيفية الناجمة عن ذلك ، والتغيرات التي يمكن حدوثها في البنى والنظم الاجتماعية ، والعلاقة بين تلك العمليات و أحداث التنمية والتغير والتقدم في المجتمع . وسعيًا لدراسة المشكلة محل البحث فإننا نرى تناولها من خلال التساؤلات البحثية التالية:

➤ دراسة وتحليل مفهوم الحراك الاجتماعي.

➤ هل أن المجتمعات في عمومها مفتوحة للحراك الاجتماعي أم أن هناك مجتمعات مغلقة لا تسمح بذلك ؟

➤ مدى تأثير الحراك الاجتماعي على النظم والبنى الاجتماعية وتغييرها

وقد تناول البحث ما تقدم من خلال سؤال مهم وهو : هل يؤثر الحراك الاجتماعي في تكوين بنية المجتمع ، أم أن البناء الاجتماعي هو الذي يفسح المجال للحراك الاجتماعي ليكون متنفساً للضغوطات التي يواجهها المجتمع في ظل وجود متغيرات داخل المجال الاجتماعي؟

ثانيا:حديد مفاهيم الدراسة :

الحراك الاجتماعي : يعرف الحراك الاجتماعي بأنه الوضع الذي يشير إلى إمكانية تحرك الأفراد أو الجماعات إلى أسفل أو إلى أعلى الطبقة أو المكانة الاجتماعية في هرم التدرج الاجتماعي أو في إطار النسق الاجتماعي ، ويرى البعض بأن مصطلح(حراك)يستخدم أيضاً ليدل على الحركة المكانية أو الهجرة السكانية وهذا ما يسمى (الحراك الفيزيقي) ، أما الانتقال من وضع اجتماعي إلى آخر داخل البناء الاجتماعي فيسمى (الحراك الاجتماعي) ، ويعني ذلك انتقال الفرد أو مجموعة من الأفراد من مستوى طبقي إلى مستوى آخر ما يدل على أن الحراك الاجتماعي يتطلب وجود مجتمعاً طبقياً ، لذا فالحراك الاجتماعي ظاهرة جديدة في المجتمع الحديث ، بل هناك من يرى بأنه أحد المقومات الرئيسية في المجتمع المتحضر ، الذي يتميز عن المجتمع التقليدي الإقطاعي الذي يعد مجتمعاً مغلقاً ولا يتحرك فيه الفرد خارج الجماعة التي ينشأ فيها لوجود حواجز اجتماعية تربط الفرد بجماعته.

يذهب البعض إلى أن مفهوم الحراك الاجتماعي يشير إلى الدرجة التي يسمح بها المجتمع أو يشجع أو يجبر أفراداه على تغيير مكانتهم ومستواهم الجغرافي والسكني والاقتصادي والاجتماعي أو توجهات قيمهم الثقافية، ففي المجتمعات الحديثة هناك ترتيب تسلسلي للمراكز الاجتماعية بحيث يزداد امتيازات الثروة والقوة والاحترام كلما صعدنا أعلى التسلسل الهرمي، ويستطيع أي شخص الانتقال من مركز اجتماعي إلى آخر اعتماداً على ما يكسبه من وسائل في متناول يده.

المجال العمراني: هو عبارة عن منتج مادي، ليس منتج الاجتماعية كما كان الحال في عصر ابن خلدون، في أن القبائل البدوية هي التي تختط البلدان وتعمرها، وإنما المجال العمراني في حاضرنا هو منتج شريحة معاصرة التي هي الدولة الحديثة، ودورها في إنشاء المراكز الحضرية، والقرى والمدن الجديدة وتخطيطها وتنظيمها، والتعمد في تشكيل مراكز إدارية في إطار سياستها الإدارية وهكذا يعتبر التحضر حتمية سياسية في ضوء متغير القوة والقرارات التي تركز إلى القانون الذي يعمل على تأسيس التكوين الحضري للقرية أو المدينة، وتشكيل وتفسير النظام والبنية الاجتماعية أو الإيكولوجية لها. بحيث يمكن

المجال الاجتماعي : المجال الاجتماعي هو الحقل الذي تتم فيه عملية التفاعل بين الأفراد ومحيطهم الاجتماعي داخل مجالهم العمراني والمجال الاجتماعي يتميز ويختلف عن المجال العمراني، لأن هذا الأخير هو منتج شريحة

معاصرة (الدولة)، ومنتوج التفاعلات التي تتم في المجال الاجتماعي، ثم يصبح بعد ذلك نتاج لها، فكل جماعة سكانية ثقافتها (عادتها، تقاليدها، قيمها ومعاييرها) وطبائعها تؤثر بها على العمران وتصاميمه وفي هندسته وبنائه، الذي يعتبر فيما بعد عبارة عن رموز تترجم كل التمثلات الاجتماعية والممارسات الحياتية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وكل ما يتعلق بالمجتمع

ثالثا: مجالات الدراسة:

✓ **المجال المكاني:** تمت الدراسة بمدينة ورقلة ورقلة مدينة صحراوية ، في الجنوب الشرقي من الجمهورية الجزائرية وهي عاصمة لولاية متسعة الأطراف تحمل رقم 30 في التقسيم الإداري الجزائري ، تحدّ ولاية ورقلة من الشرق ولاية وادي سوف، ومن الغرب ولاية غرداية، ومن الجنوب ولايتي ايليزي وتامنراست ، ولها حدود دولية مع كل من تونس الجماهيرية الليبية .تتربع الولاية على مساحة تقارب 163233 كم مربع ، وتبعد عن الجزائر العاصمة حوالي 900 كيلومترا.

مدينة ضاربة في القدم، ومركزا عمرانيا هاما، فهي ملتقى للطرق ، وتحتوي على ثروة هامة من النخيل، فضلا عن الثروات البترولية التي تزخر بها باطن الأرض اليوم.

✓ تحديد المجال الزمني:

وهي الفترة الزمنية التي تستغرقها الدراسة الميدانية ومرحلة جمع البيانات من مجتمع البحث وتفرغها. ومن ثم تحليلها واستعراض النتائج والاستنتاج العام والخروج بأجوبة للتساؤل الرئيسي للدراسة التحقق من الفرضيات وعليه يمكن تقسيم فترة الدراسة الميدانية إلى (04) اقسام حددت من 2012_2013

✓ **المجال البشري:** لذا في دراستنا تم إختيار العينة بطريقة عشوائية من خلال بعض أفراد العينة من كل مجال إجتماعي مدروس وذلك لتبيان مؤشرات كل مجال إجتماعي وكيف يؤثر

✓ تحديد المجالات الاجتماعية

قمت بدراسة المجال العمراني الذي يضم المقاطعات الإدارية لولاية ورقلة وبعد دراسة المجال الاجتماعي لهذه المقاطعة الإدارية ومن خلال الملاحظة الميدانية تبين لنا أنواع المجالات العمرانية المتواجدة وذلك من خلال المعايير التالية

قمنا بصياغة مجتمع الدراسة صياغة سوسيولوجية وفق متغيرات ومؤشرات رأينا بأنها تؤثر على عينة البحث و المجال الاجتماعي وتحديده، وتحدد في نفس الوقت هوية الأفراد المتواجدين داخل هذا المجال الاجتماعي ببنيته الثقافية، هذه المتغيرات والمؤشرات تتمثل في ما يلي:

❖ **طبيعة العلاقة الاجتماعية المتواجدة في المجال الاجتماعي** يعني هل هي علاقة قرابة من الدرجة الأولى أو من الدرجة الثانية أو هي علاقة اجتماعية عمرانية.

❖ **طبيعة النشاط الاجتماعي والمهني الغالب في المجال الاجتماعي** حتى نحدد هل هذا المجال تحكمه ثقافة ريفية زراعية أو ثقافة مستمدة من خصوصيات المجتمع الصناعي.

❖ **امتلاك الأجهزة من عدمه**، إذ يحدد لنا هذا الامتلاك الطريقة ومدى القدرة المادية والثقافية للفرد التي يشكل بها في مجال اجتماعي ما حدوده الاتصالية أو مجالاته الاتصالية وتفاعلاته الاجتماعية

الحالة الاجتماعية: تم اختيارها بالنسبة للفرد داخل المجال لتحديد هوية الفرد واهتماماته الظرفية انطلاقا من حالته الاجتماعية، فاهتمامات الأعزب تختلف عن اهتمامات المتزوج، واهتمامات المرأة الماكثة في البيت تختلف عن اهتمامات المرأة العاملة... الخ.

أما كل من السن والمستوى التعليمي والأصل الجغرافي فقد وضعوا لتحديد الحالة للكشف عن مؤشرات الرغبة و رفض المشروع.

➤ رابعا: الاجراءات المنهجية لدراسة:

المنهج المستخدم في الدراسة: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي في تجميع البيانات والمعلومات، والذي نسلكه في تحليل وتبيان الحقائق، بحيث استعمل لإيضاح السبيل وتنظيم الأفكار، إذ هو المنهج الذي يتضمن الحقائق الراهنة بطبيعة الظاهرة، وهو أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف مشكلة أو ظاهرة معينة وتصويرها عن طريق جمع المعلومات الكمية والكيفية وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة. تم استخدامه لدراسة الأوضاع الراهنة للمشكلة من حيث خصائصها وأشكالها وأنماطها، وعلاقتها والعوامل المؤثرة في ذلك، من أجل التعرف على حالة المجالات العمرانية من حيث دراسة بنياتها الاجتماعية ونظامها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي و طرازها العمراني... الخ. وسعى للوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم واقع الحياة اليومية للعينة ذات الأصول التقليدية

✓ **منهجية البحث:** يعد البحث محل الدراسة بحثاً نظرياً يعتمد المنهج الوصفي التحليلي ، من خلال رصد الكتابات المتعلقة بالموضوع قيد الدراسة ، وتحليل الواقع الاجتماعي وتحليل المفاهيم ذات العلاقة بالظاهرة المدروسة لمعرفة دور الحراك الاجتماعي في الحصول على المكانة الاجتماعية وعلاقة ذلك ببنية ونظام المجتمع ولخلق المجتمع المنشود الذي يتيح لكل مكوناته من أفراد وجماعات حراكاً حراً يساهم في خلق التنمية والتقدم ويرسخ نظامه وبنيته الاجتماعية السليمة التي هي أساس كل تغير نحو الأفضل .

خامسا: نتائج الدراسة الميدانية عبر سكان القصر القديم بورقلة عن مخاوفهم من أن يتسبب مشروع الترامواي بورقلة الذي هو قيد الدراسة حالياً في إلحاق الضرر بأساسات وهياكل القصر الهشة أصلاً وأن يؤدي ذلك أيضاً إلى تشويه الطابع العمراني للمنطقة مقترحين فتح نقاش حول إمكانية مراجعة مسار المشروع . وأوضحت جمعيات محلية في رسالة مشتركة لها عن خشيتها من أن يصاب القصر بأضرار جانبية ليس فقط نتيجة للأشغال الكبيرة التي يتطلبها مشروع من هذا الحجم وإنما نتيجة أيضاً للاهتزازات التي ستحدث بفعل عملية رحلات الترامواي عند دخوله في النشاط .

ويزداد حجم هذا القلق مخافة أن يتسبب هذا المشروع العصري ايضاً في تشويه الطابع العمراني الأصيل لقصر ورقلة العتيق المصنف منذ شهر مارس من سنة 2011 من طرف قطاع الثقافة كقطاع محفوظ اضافة الى التخوف من أن يؤثر على جاذبيته السياحية وروحه ومرجعته الاجتماعية والثقافية حسب ما أشار إليه ممثلو خمس جمعيات وقعت على هذه الرسالة

قصر ورقلة والى صمود هذا التراث المعماري القديم أمام مشروع من هذا الحجم مثلما جرى توضيحه .

✓ **سادسا: خلاصة** لم يكن اختيارنا للموضوع بطريقة عشوائية وإنما كان نتيجة مسار البحث العلمي وأيضاً نتيجة للأهداف التي تم تحديدها في مقدمة الدراسة ، هذه الدراسة التي عرفت مراحل متسلسلة من البحث العلمي حتى الوصول الى النتائج التي تعتبر حوصلة للبحث الاستكشافي .

وهكذا فنتيجة هذا البحث الذي يدور حول علاقة الحراك الاجتماعي بالمتغيرات المجتمعية للمجالات الاجتماعية في المدينة الجزائرية واختيار ترامواي ورقلة كمتغير، يتضح لنا بجلاء ضرورة الاهتمام بالدراسات الاجتماعية في المجال الاقتصادي العمراني، خاصة فيما يتعلق بخصوصيات الشباب الجزائري عامة و الورقلي خاصة التي تنعكس نتائجها على المكانة و الدور الذي يلعبه الشباب في ذلك ، هذه الخصوصيات التي تتطلب

تكثيف الجهود من قبل جميع الفاعلين لتقليل حجمها. خاصة في المجتمع الجزائري الذي لا يولي اهتماما بالأخصائي الاجتماعي و الدراسات الاجتماعية في كافة المجالات و مجال الاقتصادي على وجه الخصوص،

قائمة المراجع و المصادر

- 1-الريبيعي ، صاحب) 2991 (، الحوار المتمدن ، العدد 2213 الصادر في/5/2991. 19.
- 2.جيدنز، أنتوني) 2995 (، علم الاجتماع ، ترجمة:فايز الصايغ ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ، ص395
- 3.بودون ، ريمون وبوريكو ، فرانسوا) 2991 (، المعجم النقدي في علم الاجتماع ، ترجمة : وجيه أسعد ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ص491
- 4.القباع ، مندل) 2919 (الهجرة من الريف إلى المدينة ، صحيفة عكاظ ، العدد3419
- 5.أحمد ، خليل) 1614 (المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ، دار الحدائث للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت ، ط 1 ، ص64
- 9.موقع المقائلhttp://www.moqatel.com هس ، بيت وآخ رون) 1616 (، علم الاجتماع ، ترجمة : محمد مصطفى الشعيبي ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ص ص399
10. غيث ، محمد عاطف) 2999 (، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، ص364
- 6.خمش ، مجد الدين) 1666 (علم الاجتماع ي الموضوع والمنهج ، دار مجدلوي للنشر ، عمان ، الأردن ، ص 136.19 عبد الشافي ، عصام) 2911 (، نظرية الدور ي دراسة تأصيلية في المنطلقات الاجتماعية والسياسية ، المركز العربي للدراسات والأبحاث.
- 11.بدوي ، أحمد زكي) 1611 (، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، ص229
- 8002/5. صاحب الربيعي ، الحوار المتمدن ، العدد 8822 ، الصادر في 61 1
- أنتوني جيدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة فايز الصياغ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 8005 ، ص 2 215
- ريمون بودون ، فرانسوا بوريكو ، المعجم النقدي في علم الاجتماع ، ترجمة : وجيه أسعد ، دمشق ، الهيئة العامة السورية للكتاب، 8002 ، ص 62 / 68 / 38060 106 ، مندل عبدالله القباع ، الهجرة من الريف إلى المدينة ، صحيفة عكاظ ، العدد 4 2120
- خليل أحمد خليل ، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ، بيروت ، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 6821 ، ص6 http://www.moqatel.com 81 5
- 305/306بيت هس وآخرون ، علم الاجتماع ، ترجمة:محمد مصطفى الشعيبي،الرياض،دار المريخ للنشر، 6828 ، ص ص7
- محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، 8001 ، ص8 281
- ريمون بودون وزميله ، مرجع سابق ، ص9 212 بيت هس وآخرون ، مرجع سابق ، ص10 266
- ريمون بودون وزميله ، مرجع سابق ، ص11 220 مجد الدين عمر خيرى خمش ، علم الاجتماع الموضوع والمنهج ، الأردن ، عمان ، دار مجدلوي للنشر ، 6888 ، ص12 628 عصام عبد الشافي ، نظرية الدور دراسة تأصيلية في المنطلقات الاجتماعية والسياسية ، المركز العربي للدراسات والأبحاث، 13 8066
- 19 مجد الدين عمر خيرى خمش ، مرجع سابق ، ص14 651 أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 6822 ، ص15 880
- 868أنظر في ذلك : محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ص16 862
- محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص17 888
- محمد سعيد فرح ، البناء الاجتماعي والشخصية ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 6828 ، ص__282